عالم الفكر

المجلد الثامن - العدد الاول - ابريل - مايو - يونيو ١٩٧٧

دراسات في التراث

محمد طه الحاجرى

تحقيق التراث: تاريخا ومنهجا

يتمثل تراثنا الادبي والفكرى فى كل ماصدرعن الامة العربية معبرا ، بالكتابة ، عن وجوه نشاطها المختلفة ، ممثلا بذلك صور حياتها الظاهرة والباطنة ، منذ اتجه المسلمون الى التدوين ، يسجلون به ما يصدر عنهم ، وما يحتفظون به فى صدورهم ، أو يتناقلونه بالرواية عن أسلافهم ، أى منذ انتقل العرب من الجاهلية الى الاسلام ، ومن البداوة الى الحضارة . فكان جمع القرآن وكتابته فى المصحف أول ما اتجهوا من ذلك اليه ، وحرصوا عليه ، حتى لايعرض له شيء من آثار ما يصيب الذاكرة ، او ما يتعرض له القراء من القتل فى وقائع الفتوح وميادين القتال . ثم لم يلبث التدوين ان أصبح نزعة غالبة تسيطر على الحياة العربية فى شتى وجوهها ، ولم تلبث هذه النزعة ان غلبت شعور التحرج الذي كان يداخل ائمة المسلمين فى تدوين الحديث ، حذرا من ان تصير الامور الى ما صارت اليه عند أهل الكتاب ، حين دونوا مع كتاب الله كتبا لانبيائهم وعلمائهم ، فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، كما جاء فى بعض الآثار ، فلم يكد القرن الاول يشرف على النهاية حتى وجدنا عمر بن عبد العزيز يبعث الى ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتابا يرغب فيه أن ينظر ما كان من حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أو سنته ، فيكتبه ، خوفا من دروس العلم وذهاب العلماء .

كما اخذ التدوين سبيله الى البيئات العلمية والادبية وفرض نفسه عليها ، حتى لنجد شاعرا أميا بدويا مثل ذى الرمة يؤثر ان يكتب شعره فيقول لعيسى بن عمر الثقفي :

« اكتب شعرى ، فالكتاب أحب الي من الحفظ ، لان الأعرابي ينسى الكلمة ، وقد سهر فى طلبها ليلته ، فيضع فى موضعها كلمة دونها ، ثم ينشدها الناس . والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام » . كما يحكى الجاحظ ذلك فى الفصل الذى قدم به لكتابه (الحيوان) .

ومن هذا القبيل ما حكاه ابو الفرج فى اغانيه عن مولى لبنى كليب بن يربوع قوم جرير الشاعر ، كان شديد التعلق به ، والرغبة فى حفظ شعره . وكان كأكثر الموالي اذ ذاك يكتب ، على العكس من جرير واضرابه ، انه جاءه ذات ليلة ، فانبأه بما كان من هجاء الراعى النميري له ، وطلب منه ان يعد له شواء وشراشا ، ونبيذا محفا . فاذا تناول عشاءه ، وشرب من النبيذ اقداحا اخذ يملى عليه ما قاله يرد به على هجاء الراعي له .

فقد احس هؤلاء الشعراء الأميون الذين كان يأنف أحدهم من أن يتعلم الكتابة ، أو يقال عنه أنه يعرف الخط ، بخطر كتابة أشعارهم ، وعظم جدواها فى حفظ آثارهم .

أما علماء العربية الذين كانوا يتلقون عن الاعراب مادة علمهم من شعر وخبر فلم يعد التدوين بالقياس اليهم نزعة عارضة ، بل اصبح ضرورة ملحة . وقد كانت الصحف التي كتبها ابو عمرو بن العلاء عن الاعراب تملأ بيتا له الى قريب من السقف ، كما يقول ابن خلكان فى حديثه عنه . ولعل ذلك أو قريبا منه كان شأن سائر علماء العربية المعاصرين له .

ثم كان من صور الاستجابة لهذه النزعة الغالبة والضرورة الملحة ان نشأت **صناعة الوراقة** وما لبثت أن عظم شأنها وكثر الوراقون، حتى كان لكل عالم وراقه او وراقوه ، ينزلون منه ما كان ينزل الرواية من الشاعر ، فهم يدونون مجالسه ، ويذيعون كتبه ، حتى لقد بلغ من عظم شأنها وبسطة سلطانها ان غيرت كثيرا من القيم والاعراف السائدة فى الاوساط العلمية . ومن ذلك انها استطاعت ان تصرف اليها بعض طلاب العلم عن الجلوس الى الشيوخ والتلقى عنهم اكتفاء بما تقدمه اليهم ، وما يصيبون فيها من حاجتهم . حتى لقد استطاع رجل **كعمرو بن بحر** ، فى ابان نشأته وتكوينه العقلي ، ان يوفق بين ضرورات حياته المادية التي تستغرق نهاره ، ومقتضيات طموحه المعنوى وتطلعه الادبي ، وذلك بالتماس الوان المعرفة فيها ، فكان ــ على ما يحكى عنه بعض مترجمي حياته ــ يبيت فى دكاكين الوراقين ، يعكف عليها .

وعن هذه المنزلة التي صارت اليها الكتب يتحدث غير مرة، مفضلا اياها على الشيوخ والمعلمين وكانما هو فيما يتحدث به من ذلك عنها يرجع النظر الى أول أمره وصدر حياته وما اتاحته له ، وما حركت من همته واثارت من نوازعه . **فيقول مرة :**

« والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجح قلمه على لسانه ، بأمور ، فيها : ان الكتاب يقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان ، على تفاوت ما بين الاعصار ،



وتباعد ما بين الامصار . وذلك امر يستحيل فىواضع الكتاب ، والمنازع فى المسألة والجـواب . ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ومبلغ صوته . وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويذهب العقل ويبقى أثره . »

ويقول مرة اخرى :

« وليس يجد الانسان فى كل حـين انسانـا يدربه، ومقوما يثقفه . والصبر على افهام الريِّض شديد ، وصبر النفس عن مغالبة العالم أشد منه والمتعلم يجد فى كل مكان الكتـاب عتيدا ، وبمـا يحتاج اليه قائما . وما أكثر من فرط فى التعليـم أيام خمول ذكره ، وايام حداثة سنه . ولولا جياد الكتب وحسنها ومبينها ومختصرها لما تحركت هممهم هؤلاء الى طلب العلم ، ونزعت الـى حب الادب ، وانفت من حال الجهل، وان تكون فى غمار الحشو، ولدخل على هؤلاء من الجهل والمضرة وسوء الحال ما عسى الا يمكن الاخبار عن قليله الا بالكلام الكثير . »

ثم لا يقف الامر ، فيما يحكي **الجاحظ** عن مآثر الكتب ، عند هذا الحد من تحريك النوازع ، وحفز الهمم ، وارضاء الحاجات العقلية ، بل انها لتمضي الى ما وراء ذلك من شق الطريق الى بعض صور المجد الادبي والمادى التي لاتتيحها مجالسة الشيوخ والتلقى عنهم ، على الصورة التي يحكيها الجاحظ بقولـه :

« وقد نجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ، ويجالس الفقهاء ، خمسين عاما ، وهو لايعد فقيها ولا يجعل قاضيا . فما هو الا ان ينظر فى كتب ابي حنيفة واصحـاب أبـي حنيفة ، ويحفـظ كتب الشروط ، فى مقدار سنة او سنتين ، حتى تمـر ببابه فتظن أنه من بعض العمال ، وبالحرى الا يمر عليه من الايام الا اليسير ، حتى يصير حاكما على مصر من الامصار ، أو بلد من البلدان . »

وكانما كان الجاحظ فى حديثه هذا يتمثـل الامر فى البصرة ، ولم يكن لفقه أبي حنيفة مكان فيها . وفقه ابي حنيفه ، أو بعبارة اخرى ، فقـه الكوفه ، كان هو الذى يرشـح صاحبـه لمناصب القضاء وما اليها، منذ قامت الدولة العباسية وثيقة الصلة بالكوفة ورجالها ، معرضة عـن البصرة ، متهمة لاهلها .

كما لم يقف الامر بصناعة الكتب عند هـذا الافق ، ولم يقتصر على ما يصدر عن علماء الدين ورجال الفكر واهل الادب . فقد تجاوزت الكتب هذا الشأو ، وتناولت جوانب الحيـاة المختلفة : علمية وعملية . كما يدل على ذلك قول الجاحظ :« وكل شيء فى العالم من الصناعـات والارفـاق والآلات فهي موجودات فى هذه الكتاب » . وقـد فصله وبين مجمله فى قوله :

« وحسبك ما في أيدى النـاس مـن كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ، والهندسة ، ومعرفة اللحون ، والفلاحة ، والنجارة ، وأبواب الاصباغ والعطر ، والاطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة وبالمنفعة التي فى الحمامـات ، وفى الاصطرلابات ، وآلات معرفـة الساعـات ، وصنعـة الـزجـاج والفسيفساء ، والاسرنج والزنجفور ، واللازورد، والاشربة ، والانبجات ، والايارجات . ولهم الميناء

والنشادر ، والشبه ،وتعليق الحيطان والاساطين ،ورد ما مال منها الى التقويم ، ولهم صب الزردج ، واستخراج النشاشيح ، وتعليق الخيش ،واتخاذ الجمازات ، وعمل الحراقات ، واستخراج شراب الداذى ، وعمل الدبابات . »

وبهذا نرى الى اى حد بلغ شأن صناعة الكتب فى القرن الثالث للهجرة ، والى اى مدى بلغ تغلغلها فى ميادين الحياة المختلفة ، وفى وجوه النشاط الانسانى عامة ،وفى شتى صور الحضارة ، دون أن تقف من ذلك عند الحاضر ، بل تناولته فى الغابر ، على النحو الذى يمكن أن تتمثله في هذه الجملة التى أوردها من كلام الجاحظ ، وفى مثل قوله أيضا :

« ولولا ما أودعت لنا الاوائل فى كتبها ،وخلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ماغاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وادركنا مالم نكن ندركه الا بهم ، لقد خس حظنا من الحكمة ، وضعف سبيلنا الى المعرفة . »

●●●

واذا كان ذلك هو شأن ماصدر عن الامة العربية مكتوبا ، وكان ذلك مبلغ الآماد التى استولى الكتاب العربى عليها ، فى القرن الثالث للهجرة ،وفى اقليم واحد من اقاليم العالم الاسلامى ، فما عسى ان يكون مبلغ تراث هذه الامة الادبى والعقلى والحضارى فيما يلى ذلك من القرن ، وفى سائر أقاليم هذا العالم من مشرقة فى الهند وجزر المحيط الهندى الى مغربه فى المغرب الاقصى والاندلس . بل وفى بعض أقاليم العالم المسيحى التى صار الكتاب العربى فيها عماد الدرس واحد أصول المعرفة ؟

لقد كان ــ ولابد ــ أمرا بالغ الضخامة ،كثير التنوع ، لا مبالغة فى القول بأنه يفوت الحصر ، وكان يتمثل فيما ضمته خزائن الكتب العامة التى كانت الدول الاسلامية حريصة على انشائها . وكانت تتنافس فيما بينها فى مبلغ ما تقتنيه منها من عيون الكتب التى تجود بها قرائح العلماء والأدباء ، ويفتن الوراقون والنساخون فى كتابتها وتحريرها والتأنق فيها هنا وهناك ، فى العراق ومصر وافريقية والاندلس ، وفى امارات المشرق والشام والمغرب ، وفى خزائن الكتب الخاصة التى اصبحت مظهرا من مظاهر الترف العقلى والحضارى ، يحرص الامراء والسرة والعلماء عليه وعلى المنافسة فيه ، وفى هذه المكتبات التى كانت تقام هنا وهناك تقربا الى الله ، فى المساجد والربط والمدارس والزوايا ، الى غير ذلك مما تتناثر الاخبار عنه ، وليس بنا فى هذا البحث أن نتتبعه .

وقد منيت هذه الثروة العقلية الضخمة بما بددها ودمر الكثير منها ، في خلال الفتن السياسية والطائفية والمذهبية التى كانت تضطرب بها ، في كثير من الاوقات ، بغداد والمدن الاسلامية ، وفي الحروب الصليبية التى استمرت خطوبها قرنين من الزمان وفي غزوات التتار التى كانت تأتى على الاخضر واليابس ، ثم في غمرة الجهالة التى اطبقت على العالم الاسلامى في القرون المتأخرة ، والتى افقدت عامة الناس احساسهم بهذا التراث وتقديرهم له . فعدت عليه من خلال ذلك العوادى

المختلفة . وحسبنا لكى ندرك ، بصورة ما ، مبلغما أصاب التراث أن نقارن بين مايذكر من كتب فى تراجم العلماء والادبـا ، او فى كتـب الفهـارس كفهرست ابن النديم ، وما يمكن ان نجـده منهـا الآن . فما أكثر العلماء الذين لم يبق لنا شيء ممااالفوه ، وما أكثر من لم يبق لنا مما ترك غيرنسبة ضئيلة .

ومع كل هذا ، فان مابقى لنا من هذا التـراث ،او ما اتيحت لنا معرفته منه ، يعد مفخرة للأمـة العربية ، اذ يعبر عن مبلغ نشاطها العقلى والادبى،واسهامها أعظم اسهام فى بناء الحضارة الانسانية . وفيه تتمثل ملامح شخصيتها . ولا ريب أنه على قدر معرفتنا لهذه الشخصية وتبيننا لخطوطهـا العريضة والدقيقة يكون ايماننا بها ، وهـو مـاتقتضيه حركة القومية العربية التى تتجه الأمـة العربية اليها ، وتسعى حثيثا دائبا فى استكمـال ادواتها واصطناع وسائلها ، لأنها المعتصم الوثيق الذى يعتصم به في معترك الحياة . ومـن هنـايكون الحرص على هذا التراث ، تنقيبـا عنـه ، والتماسا له ، وجمعا لمتفرقه ،وتحقيقا لنصوصه،وتجلية لغوامضه . الى جانب الدافع الانسانى ، باعتبار هذا التراث جزءا لا ينفصل مـن تـراث الانسانية عامة ، ووجها من وجوهه .

واذ كان هـذا التراث مفرقا فى مكتبـات العالم ، مشرقه ومغربه ، اسلامه ومسيحيه ، فى كبار مدنه وصغارها ، فان من اول ما يجب علينا القيام به ان نحصر هذه المكتبات ، عامة وخاصة ، وان نمضي فى الطريق الذى بداه معهد المخطوطات العربية ، منذ ظهرت مجلته منذ أكثر من عشرين عاما ، بخطـى حثيثـة ثابتة ، وقوى متكاتفـة متضامنة ، طبقا لخطة مدروسة واضحة ، فنجمع ما وجد من فهارسها ، ومنها ما خص المخطوطات العربية بفهارس على حدة . وكثير منها لم يفهرس بعد ، او لم تنشر فهارسه ، فنعمل على فهرسته،وتتخذ لذلـك الوسائل المختلفة . وذلـك حتى يتسنى لنا أن نؤلف موسوعة بيبليوجرافية شاملة لهذا التراث ، وخاصة مخطوطاته ، تعرضه عرضا علميا ، تتبين فيه نسخ كل كتاب ، موصوفـة بالصفات المعتبرة فى تحقيـق النصوص . امـا ما سبق نشره منها فيبين تاريخ النشر ومكانـه ومحققه ، وفى اي صـورة كان : محققا لشروط النشر العلمي أو مغفلا لها ، أو مقصرا فى رعايتها ،كليا كان ذلك النشر أو جزئيا ، مستقلا أو مضمنا فى مجلة من المجلات أو دورية من الدوريات ، الى غير ذلك .

كما تعنى هذه البيبليوجرافيا زيادة على ذلك ، بما قد يكون من دراسات كتبت عن هـذا الاثر أو ذاك ، تعريفا به ، أو نقدا له ، أو تحليلا لمضمونه .

وذلك ، ولا ريب ، عمل ضخم ، يحتاج الى تضافر الجهود وتضامن القوى ، والى التوفر عليه والتفرغ له ، والى التنظيم الدقيق والتخطيـط المحكم ، والى روح الدؤوب . ولكنـه ــ فيمـا أرى ــ عمل ضروري ، يمكن أن يؤدي الينا صورة متكاملة مشرقة من ذلك التراث ،كما يجعل تحقيق تراثنا يمضي على هـدي وبصيرة اتـم واوفر ،وبخطى اكثر سدادا .

ومهما يكن تقدير العلماء لما صنعه من ذلك:بروكلمان أولا ، ثم فؤاد سوزكين ثانيا ، فان الاحاطة بالتراث العربي ، وهو كما رأينا ، أمر يفوق طاقة الفرد ، مهما يكن من أولى العزم .

على أن هذا لا يعني ان وجود هذه الموسوعةالبيبليوجرافية التي يحتاج انجازها عددا غير قليل من السنين اذا صح العزم شرط لتحقيقالتراث ، فانما هي أداة لتيسيره والتمكين لادائه على اكمل وجه ، وهو ماض في سبيله لا يتوقففي حدود ما يتاح له .

• • •

وتحقيق التراث يتضمن أمرين : تحقيقنسبة النص الى من هو منسوب اليه ، والثاني تحقيق النص في ذاته ، بحيث يكون ـ قدرالامكان ـ صورة أمينة دقيقة له ، كما كتبه مؤلفه .

أما الاول فيدعو اليه ان عالم الكتب أصابهما أصاب من قبل عالم الشعر من الوضع والتزوير . فكما نشأت في أوائل القرن الثانيظاهرة وضع الشعر ونحله للشعراء المتقدمين ، حين أصبح الشعر بابا من أبواب الفخر ، ووسيلةمن وسائل المجد القبلي ، بما ينوه به من مآثر القبيلة ويشيد بها ، وحين أصبح سلعة يغاليالرواة بها بقدر ما يحرص ملتمسوها من الامراء والسراة والعلماء على الظفر بها ، فصارت روايةالشعر بذلك تجارة ، فاذا اعوزت تلك السلعة فلا بأس من الاحتيال لذلك بالصناعة والتزييف،كما تزيف الآثار وتروج . كذلك كان الامر في الكتب .

وكان من أسباب ذلك صناعة الوراقة التيآل الامر فيها الى أن بعض من كان يصطنعها كان لا يرى فيها الا انها مهنة من مهن العيش وباب منأبواب الاتجار ، فكان لا يحفل الا بما يمكن أن تتيحه له من كسب ، وما تحققه له من عائد . فكان يلجأ أحيانا الى أن ينحل بعض مشاهير الكتاب والعلماء ما لبس لهم ، ومن ذلك جاءتبعض الكتب المنسوبة الى بعض كبار العلماء مثيرة للشك في نسبتها اليهم . ككتاب **فتوح الشام**المنسوبالى الواقدي، وكتاب **المحاسن والاضداد** الذي جمع فيه الوراق أشياء من كلام الجاحظاقتبسها من هنا وهنا ، وخلط بها غيرها ، ثم وضع على هذا الخليط هذا العنوان ونسبهلجاحظ .

وكثير من العلماء يشك في نسبة **كتابالتاج**الذي استخرجه وعنى بتحقيقه أحمد زكي باشا الى الجاحظ . وقد كتب له مقدمة مستفيضةبذل فيها جهدا غير يسير لتحقيق هذه النسبة .

ومن ذلك الشك في نسبة **كتاب العين**للخليلبن احمد . ويبدو أن هذا الشك قد نشب في قلوب العلماء منذ وقت مبكر ، لأسباب ظاهرة .حتى اذا جاء الازهرى **صاحب التهذيب** في القرن الرابع كان مثار شكه النظر في الكتاب ، وورودأشياء فيه لا يمكن أن تصح عن الخليل .كالذى وقع فيه من تفسير (العمر) بانه نوع من النخيلسموق طويل ، وليس كذلك فيما نعرف ، فهو



نخل السكر سحوقا أو غير سحوق . ولا يمكن ـ فيما يرى ـ ان يصح ذلك عن الخليل ، فقد كان ـ كماهونص عبارة الازهرى ـ «من اعلم الناس بالنخيل والوانه . ولو كان الكتاب من تاليفه ما فسر العمر هذا التفسير . وقد اكلت انا رطب العمر ورطب التعضوض وخرفتهما من صغار النخل وعيدانها وجبارها . ولولا المشاهدة لكنت احد المفترين بالليث وخليله ، وهو لسانه » (١)

ومن هذا القبيل أيضا نسبة **كتاب الامامة والسياسة** لابن قتيبة . وقد نظر المستشرق دوزى فى هذه النسبة حين اثارت ريبته ، فتناولهــا بالبحث ، معتمدا فى بحثه على النظر فى الكتاب نفسه ، غير مكتف بأن أحدا ممن ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا له كتابا بهذا الاسم . وقد انتهى به البحث الى نفى نسبة الكتاب اليه .

وهذا النقد الداخلي ، أو هذا النظر فى الأثر نفسه من ناحية محتواه ومن ناحية أسلوبه هــو الاصل في توثيقه . ومن الكتب ما يحتاج فى ذلك الى اطالة نظر وفرط تأمل وكثرة مراجعة ، ومنها ما يبدو زيف نسبته لاول وهلة ، كالكتاب الذى ينسب للجاحظ باسم (تنبيه الملوك والمكايد) . وهو من مخطوطات مكتبة كوبريلى بالآســتانة ، ومصورات دار الكتب المصرية عن تلك المكتبة .

وهذا **التوثيق** هو أول ما ينبغى للمحقق ان يعنى به ، وخاصة اذا كان هناك ما يثير الريبة فى أمره . ولا ريب أن من أول ما يعينه عليــه ، ويسدده في سبيل الحقيقة ، أن يكون وثيق الصلة بمن ينسب الأثر اليه ، وبموضوع الاثر نفسه ، محيطا بشتى ملابساته ومختلف جهاته ، واسع المعرفة بعصره ، دقيق الملاحظة ، سريع اللمح .

ويحضرنا فى هذه المناسبة ما ذكره شمس الدين السخاوى ، صاحب **الضوء اللامع** أن بعض اليهود اظهر كتابا وادعى انه كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، باسقاط الجزية عن أهل خيبر . وفيه شهادة الصحابة ، رضى الله عنهم . وذكر ان خط على ، رضى الله عنه ، فيه . وانه حمل الكتاب فى سنة سبع وأربعين واربعمائة الى رئيس الرؤساء ، ابى القاسم على ، وزير القائم . فعرضه على الحافظ الحجة ابى بكر الخطيب . فتأمله ، ثم قال : هذا مزور . فقيل له : فمن أين لك هذا ؟ قال : فيه شهادة معاوية . وهو انمــا اسلم عام الفتح ، وفتح خيبر كان فى سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو مات يوم بنى قريظة قبل فتح خيبر بسنتين . (٢)

فقد كانت احاطة ابى بكر الخطيب بعصر النبوة ، واستحضاره لاحداثه مرتبطة بتواريخها مما اتاح له أن يكشف الغطاء عن هذا التزوير ، كما اعانت دوزى معارفه التاريخيــة عامــة ، واستغراقه فى تاريخ الاندلس خاصة ، على ان يفضى فى امر كتاب الامامة والسياسة ، قضاء علميا ، بنفى نسبته الشائعة الى ابن قتيبة .

● ● ●

---

(١) انظر : لسان العرب ٦ : ٢٨٥ مادة (ع م ر) . ط بولاق ، القاهرة .

(٢) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٠ ـ مطبعة الترقى ، ١٣٤٩ هـ

أما تحقيق نص الكتاب تحقيقا يهدف الى أن يجيء على الصورة التى اداه بها مؤلفه ، بريئا مما طرأ عليه من تحريف أو داخله من تغيير او غشيه من اضطراب ، فأمر لا شك فى ضرورته ، اداء لحق الامانة العلمية ، ومن حق تراثنا ان نجلوه بوجهه الحق الاصيل الصادق .

وقد منى هذا التراث بالتعرض لما نكر كثيرا منه ، من تحريف وتصحيف، وتشويه وخلط ، وسقط واقحام .

واذا كان ذلك يرجع في حالات كثيرة الى ما يمتحن به الكتاب فى مرحلة نسخه ، من جهل الناسخ اذ يسيء القراءة ، او تعالمه فيبدل ويغير الى ما يخيل اليه انه الاصح او الأوفق ، او ما الى ذلك . فان مرجع الامر أولا الى طبيعة الخط عامة ، والخط العربى خاصة . ذلك ان الخط في عمومه ليس الا رموزا مقاربة تدل على الكلام الذى يريد صاحبه اداءه بالكتابة . وطبيعة الرمز القصور بذاته عن تعيين المراد تعيينا لا خلاف عليه . واما الخط العربى خاصة فانه لتشابه بعض حروفه اشد قصورا ، كما يقول أبو الريحان البيروني فى مقدمة كتابه (الصيدنة) :

« .. ولكن للكتابة العربية آفة عظيمة ، وهى تشابه صور الحروف المزدوجة فيها ، واضطرارها فى التمايز الى نقط الاعجام ، وعلامات الاعراب ، التى اذا تركت استبهم المفهوم منها » .

ومن هذا كان الحرص على تلقى العلم عن الشيوخ لا عن الكتب استقلالا ، حتى لا يقع المتعلم فى الاخطاء التى تنشأ عن التباس الخط وتشابه الحروف ، وقد سموا مثل ذلك الخطأ بالتصحيف، ونبذوا من يأخذ العلم عن الصحف بانه صحفي ، وازدروه ونفروا منه ، واطلقوا هذه العبارة التى عدت من أدب التلقى فى ذلك الوقت : « لا تأخذ القرآن عن مصحفي ، ولا العلم عن صحفي » .

وعن ذلك كانت ــ عناية العلماء بالكلام عن التصحيف : ينبهون على المواضع التى وقع فيها . وقد خصه بعضهم بالتأليف فيه ، كما صنع حمزة الاصفهاني من اهل القرن الرابع ، اذ وضع كتابه : « التنبيه على حدوث التصحيف » ، وابو أحمد العسكرى ، خال ابى هلال ، من أهل ذلك القرن ايضا فى كتابه : **« شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف »** .

وأخذ رجال اللغة يتعقبون الالفاظ التى أصابها التصحيف ، يردونها الى أصلها ، كما سمعوها من الاعراب أو كما تلقوها عن الشيوخ . ومن الفريق الاول ابو منصور الازهرى ، الذى اشرنا اليه قبلا فى الكلام عما عرض لكتاب العين من الشك فى نسبته الى الخليل بن احمد وقد اتيح له أن يعيش فى البادية ويخالط الاعراب ردحا من الزمن ، حين وقع في اسر القرامطة ، فكان القوم الذين وقع فى سهمهم « عربا نشأوا بالبادية ، يتتبعون مساقط الغيث ايام النجعة » على ماوصفهم به فى مقدمة كتابه (تهذيب اللغة) . وقد تصدى فيه لمثل هذه الالفاظ ، وخاصة ماوقع منها فيما يذكره الليث بن المظفر ، مما يراه منقولا اليه من صحف سقيمة وزيدت فيه . ومن نقلها لم يعرف العربية ، فصحف وغير فأكثر ، كما جاء منقولا عنه فى مادة (ح ص ب) من لسان العرب .

وواجهت هذه الآفة رجال الحديث ، بعدان سيطرت صناعة الوراقة على روايته . فاذا باعلام المحدثين ، رواة الحديث ورجال سنده ،تخضع لذلك اللبس ، وهم الاساس الذى ينبني عليه نقد الحديث والحكم عليه وبيان مرتبته . فكان لا بد لهم من معالجة هذه الآفة ، واتخاذ ما يجنبهم آثارها ، فكان أن نشأ عندهم نوع من الدرس وباب من ابوا ب التصنيف سموه (المؤتلف والمختلف) ، خصوه بما تتفق من اسماء الرواة صورته ، وتفترق في اللفظ صيغته ، اما من ناحية الضبط ، واما من ناحية الحروف المشتبهة ، مع التعريف بكل اسم من هذه الاسماء .

ذلك هو الاصل فيما تعرضت له نصوص الكتاب العربي من تحريف ومخالفة للاصل كما اداه مؤلفه ، الى جانب ما أشرنا اليه قبلا من جهل النساخين او حذلقتهم .

وكلما تداولت الكتاب أيدى النساخ اتسعت مسافة الخلف بينه وبين ذلك الاصل ، الا أن يكون ناسخه قد قرأه على مؤلفه واجازه ، وان يكون من يستنسخونه من أصحاب الضمير العلمى اليقظ ، الذين لا يتبعون ما تمليه عليهم خواطرهم ، وانما يقفون عند حدود ما ينسخون ، الى جانب العلم بموضوعه ، والالفة للغته وأسلوب مؤلفه . وقبل هذا كله في الثقة أن تكون النسخة التي بلغتنا نسخة المؤلف التى كتبها بيده ، أو قرئت عليه فأجازها . وهذه حالات معدودة . اما جمهرة التراث فقد يصدق عليها ماقاله الجاحظ في سياق حديثه عن الترجمة ، والتشكيك في صحة ادائها ، وصحة ما بلغنا منها ، اذ يقول :

« ... ثم نصير الى ما يعرض من الآفات لاصناف الناسخين . وذلك أن نسخته لا يعدمها الخطأ ، ثم ينسخ له من تلك النسخة من يزيده من الخطأ الذى يجده في النسخة ثم لا ينقص منه ، ثم يعارض بذلك من يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، اذ كان ليس من طاقته اصلاح السقط الذى لا يجده في نسخته ... ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان آخر ، فيسير فيه الوراق الثاني سيرة الوراق الاول . ولا يزال الكتاب تتداوله الايدى الجانبية والاعراض المفسدة ، حتى يصير غلطا صرفا وكذبا مصمتا . »

ومن هنا نتبين ضرورة تحقيق النص بالمعنى الذى قدمناه ، واتخاذ الاسباب المختلفة لهذا التحقيق .

ومن هذه الاسباب ما يرجع الى المحقق ، والصفات التي ينبغي ان تتوفر فيه ، ومنها ما يرجع الى موضوع التحقيق ، وهو النص .

فاما المحقق فينبغي — الى جانب كونه من اصحاب الضمير العلمي المتحرج — ان يكون عالما بموضوع النص الذى يحققه ، عارفا بالاساليب المتبعة في معالجة ذلك الموضوع ، والاسلوب الغالب على العصر الذى ينتمي اليه ذلك النص ، من ناحية صياغة الجملة ، والمفردات الشائعة ، والاخطاء الغالبة ، متمرسا بقراءة الخطوط المختلفة ، مشرقية ومغربية ، أو على الاقل خطوط نسخ النص التي بين يديه .

واما ما يتعلق بالنص فأول ذلك تقصي مخطوطاته فى المكتبات المختلفة ، واستحضارها او استحضار صورها ، ودراستها ، ومعارضة بعضها لبعض ، ومحاولة التعرف بذلك على عهد نسخ كل منها ، بملاحظة وطريقة الخط ونوع الورق وما الى ذلك ، اذا لم تكن تواريخها مثبتة عليها . ثم التعرف ــ قدر الامكان ــ على الخصائص الموضوعية لكل منها ، ومحاولة التعرف كذلك الى ما قد يكون من صلات نسب بينها ، فربما أتاح ذلك للمحقق ما يبرر اتخاذ احداها أصلا ، ان لم يكن بينها ما يوجب ذلك لها ، كأن تكون نسخة المؤلف او نسخة وثيقة الصلة بها . ومن هذه الدراسة محاولة استخلاص شيء من ملامح ناسخيها العقلية ، كأن يكون الناسخ جاهلا أو مثقفا أو عالما ــ وقد يكتفي الناسخ الجاهل او ضعيف الثقافة برسم الحروف على ما خليت اليه ، وفى الصورة التي مثلت امامه ، دون ان يدرك مدلولها ، وقد يكون متسامحا فلا يعبأ بأن يتجاوز ما غمض عليه ويغفله ، واما الناسخ المثقف فقد يكون أمينا فى تأدية ماينسخه ، وقد يكون رجلا متحذلقا نغلبه حذلقته على أمره ، فلا يرى بأسا فى ان يقحم نفسه على النص ، ويستبيح لنفسه أن يضع كلمة مكان كلمة يرى انها احق بمكانها منها ، الى غير ذلك من صور التعرف فى النص والتحكم فيه ، مما قد يجعله أكثر جناية عليه ، واشد صدا عن كلام المؤلف ، من الناسخ الجاهل .

وبهذه الملاحظة الدائبة اليقظة يستطيع المحقق ، وهو يقارن النص فى مخطوطاته المختلفة ، ان يفترض ما هو من صنيع هذا الناسخ او ذاك ، لانه أشبه به ، اذا استطاع ان يتبين الطابع الغالب عليه ، الى جانب ما تؤديه اليه معرفته لاسلوب المؤلف وطريقة تفكيره وعاداته الكتابية وما الى ذلك مما أشرنا اليه منذ قليل . فذلك هو الاصل في ترجيح قراءة على اخرى . وانما تفضل القراءة نظيرتها بأن أشبه بأسلوب المؤلف وطريقة تعبيره ، لا أن تكون افضل فى نظر القارىء ، او أصح لغة وصياغة .

والى جانب استقصاء مخطوطات النص ومعارضة بعضها ببعض ودراستها يحسن أن يستأنس ــ ما امكن ــ بما يمكن ان يسمى **بمصادر التحقيق غير المباشرة** ، ونعنى بها النصوص التي تنتمي الى الكتاب موضوع التحقيق ، والتي وردت ، منسوبة اليه أو غير منسوبة ، فى كتب اخرى .

ومن الادوات التي يحسن الاستعانة بها فى تحقيق النصوص المنقولة عن لغة اخرى ، او التي لها ترجمة قديمة ، هذه الاصول المترجم عنها ، اوالتراجم التي وضعت بازائها .

ومن ذلك ما صنعه الدكتور طه حسين فى تحقيق نص المعاهدة التي عقدت بين الملك الاشرف خليل بن قلاوون الصالحي ، احد ملوك مصر ، وملك ارجون ، سنة ٦٩٢ . وهو النص الذى اورده القلقشندى فى الجزء الرابع عشر من كتابه صبح الاعشى ، اذ لجأ فى ذلك التحقيق الى الترجمة الاسبانية التي وضعت بازاء النص العربي ، واستطاع بذلك ان يحرره في الصورة التي تقدم بها الى مؤتمر العلوم التاريخية الذى انعقد فى بروكسل سنة ١٩٢٣ .

ويمكن أن يذكر من هذا القبيل ما أتيح لي ،فيما حاولته من تخريج بعض النصوص الارسطالية في كتاب الحيوان للجاحظ ، والمقارنة بينها وبين نظائرها فى الاصل اليوناني كما ترجمه الى الفرنسية سانتيلير ، مــن تصحيح بعض ما وقع فيها مــن تحريف أو تصحيف أو خطأ . (٣)

على أن الامر فى اسلوب التحقيق وادواته مرتبط بعـد ذلك بالنص مـن حيث موضـوعه وصورته ، وما يتطلبانه ويشيران به ، وهو أمـرلا يكاد يقف فى تفصيلاته عند حد .

وبعـد ذلك لا ينبغي أن نغفل ، فى هـذا السياق ، الاشارة الى بعض الامور المكملة لتحقيق النص ، والتي تهدف الى ازالة غبار القـرون عنه ، بتجليته وتوضيح ملامحه وابراز معالمه ، والى تيسير استخدامه والرجوع اليه فى وجـوه الدراسة المختلفة ، وذلك مثل تخريج النصوص، وشرح الالفاظ الاصطلاحية ، وخاصة ما يـردمنها فى كتـب التراث العلمي ، والاحالة الـى مراجعها ، وبيان ما يمكن أن يقابلها في المصطلح الحديث ، وفهرستها ، الى غير ذلك من أنواع الفهارس .

● ● ●

واذا كان الاسـلوب المتبـع غالبا الآن فى تحقيق النصوص ونشرها ، من ناحيـة استقصاء النسخ المخطوطة واثبات قراءاتها واختـلافاتها فى هوامش الصـفحات ، واسـتخدام الرمـوز المصطلح عليهـا فى ذلك ، يرجع فى جملتـه الى الاسـلوب الذى اتبعه محققو التراث اليوناني واللاتينى ، وأخذ به عنهم المستشرقون فيمـا حققوه من التراث العربي ، واذا كان محققونا الاقـدمون لم يكن لهم هذا الاسـلوب ، فـان الامر لا يعدو ــ فى حقيقته أن يكون اختلافا فى الاسـلوب فقط ، مع الاتفاق فى الاصل ، وهـو رعاية حق النص والدقة في تحرى صحته ، بكل ما يتضمن ذلك من حـرص على ذكر الروايات المختلفة والقراءات الواقعـة والمحتملة ، ومـن التعـريف بالنسـخ المنقولة والمنقول عنهـا ،والاشـادة بنسخة المؤلف أو النسخة التى قرئت عليـه واجازها ، والاجازات التي يمنحها الشيخ لتلاميذه باقراء ما قرأوه عليه ، ومغالاتهم بذلك . فذلك امر بلغ فيه المسلمون الغاية أو شارفوها. وان ماسـنه علماء الحديث من أصـول ومبادىء وآداب ، وما دونوه من دراسـات فى كتابة الحديث وضبطه ، وفي مقابلة أصوله ، وماوضعوا فى ذلك من قواعد ، وما اصطلحوا عليه من سمات دالة وعلامات هادفة ، الى غير ذلك مما أفاضت فيه كتب آداب الاملاء والاسـتملاء وعلوم الحديث عامة ، وقد تجاوز حدود الحديث الى التدوين فى فنون العلم المختلفة ، مما يدل دلالة واضحة على مبلغ ما كان أسـلافنا يقـدرون به حـق النص ، والدقة فى أدائه .

(٣) مجلة كلية الآداب ، جامعـة الاسكندرية ، المجلد السادس والسابع ، (١٩٥٣) والمجلد الثامن (١٩٥٤) ، ومجلة مجمع اللغـة العربية ، المجلد التاسـع والعشرون والمجلد الثانى والثلاثون .

وقد كان من الطبيعى ان يتخذ الاوروبيون فيما اتجه اليه مستشرقوهم وعنوا به من تحقيق التراث العربى الاسلوب الذى اصطنعوه فى تحقيق التراث اليونانى واللاتينى ، فالغاية واحدة . والتراث العربى كان يمثل لهم عنصرا من عناصر حركة الاحياء التى تمثلت فى أحياء الآثار العقلية الاولى . فهذا التراث كان من أسبابهم الى تراثهم اليونانى ، فعن ابن رشد وابن سيناء والخوارزمي وغيرهم من علماء المسلمين عرفوا ارسطو وابقراط وبطليموس . وبالكتب العربية التى كانت عماد درسهم وقوام ثقافتهم فى ابان تلك الحركة ، ككتب الكندى والفارابى وابن الهيثم والغزالى ، استطاعوا أن يتصلوا بتراثهم اليوناني .

واحسب ان حركة نشر الكتب العربية التى بدات عند الاوروبيين بعد اختراع المطبعة انما كانت لونا من الوان الاستجابة لهذه الحاجة العقلية ، اذ نجد بين ما نشر هناك فى القرن السادس عشر كتاب النجاة وكتاب القانون في الطب لابن سينا ، **وتحرير اصول الهندسة لا قليدس** ، لنصير الدين الطوسى ، وقد طبعت فى روما . ثم تمضى هذه الحركة قدما ، وتنتشر هنا وهناك ، فتتخذ لها مراكز مختلفة فى انحاء العالم الاوروبى : فى لندن وامستردام ولاهاى واكسفورد ولندن وكمبردج وباريس ومدريد وروستك وهاله وفينا ، وغيرها من المدن الاوروبية ، وقد كان تحقيق كتب التراث العربى من أول ما عنيت به ، فتناولته من اطرافه المختلفة : تاريخية وجغرافية وفلكية وفلسفية وادبية . بل انها امتدت الى كتب النحو العربى؛ فكان من اوائل ما طبع فى روما كتاب الكافية للعالم المصرى ، جمال الدين بن الحاجب .

ومن أجل هذه الغاية انشئت **جمعيات الاستشراق** ، كجمعية المستشرقين الالمان ، والجمعية الآسيوية الملكية الانجليزية ، والجمعية الاسيوية الفرنسية ، واتخذت لها مراكز مختلفة تتوفر فيها أسباب التحقيق . كباريس وليدن، وكاتخاذ استانبول مركزا من مراكزها ، لمكان استانبول من التراث العربى ، وعنها صدرت المجموعة التى عنيت بتحقيقها ونشرها بعنوان : النشريات الاسلامية .

وفى ظلال هذه الحركة نشأ كثير من المستشرقين الذين وجهوا كثيرا من عنايتهم ان لم يكن جلها ، الى نشر التراث نشرا محققا فى حدود القواعد المتبعة عندهم ، مثل كاردون الفرنسى الذى نشر فى منتصف القرن الثامن عشر شذرات من كتاب **السلوك للمقريزى** ، باعتبارها وثيقة من وثائق تاريخ لويس التاسع .على أن اكثرهم ، فيما اعلم ، جعل تحقيق هذا التراث ونشره غاية في ذاته ، لا من حيث كونه مرتبطا بما يعالج من بحث . ومن ذلك نرى رجلا مثل (دى ساسى) الذى عاش فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ينشر من كتب الادب كليلة ودمنة ومقامات الحريرى ؛ ومن كتب الرحلات رحلة عبد اللطيف البغدادى ، ومن كتب النحو الفية ابن مالك ، كما نجد معاصره (كوسان دى برسيفال) ينشر من كتب الادب شرح الزوزنى لمعلقة امرىء القيس ، ومن كتب الفلك الزيج الكبير الحاكى لابن يونس ، والصور السماوية للصوفى . وكذلك كانت عناية من جاء بعدهما من تلاميذهما بالتراث العربى ، مثل كاترمير ،

ودى سلان ، الفرنسيين ، وكوزيجارتن الالمانى،ودى جويه الهولندى الذى نشر من كتب الادب ديوان مسلم بن الوليد ، ونشر من كتب التاريخ فتوح البلدان للبلاذرى ، وتاريخ الامم والملوك للطبرى ، كما عنى بنشر مكتبة الجغرافيين العرب. وفلوجل الذى نشر فهرست ابن النديم ، وكشف الظنون للحاج خليفة ، وادى بهما اجل خدمة لمحققي التراث والباحثين عنه .

وليس بنا فى هذا الفصل أن نستقصى حركة تحقيق التراث العربى عند المستشرقين ، او نتبين وجوهها . فانما أردنا بما ذكرنا من ذلك ان ندل على هذه المرحلة من مراحل تحقيق التراث ، وان نتبين منشاها الذى صدرت عنه ،ومنهجها الذى أخذت به ، وطابعها الغالب عليها، وصلتها بما جاء بعدها من مراحل تحقيق التراث واتجاهاته فى البلاد الاسلامية .

ولعل اول هذه البلاد التى عنيت بالتراث العربى مستخدمه الطباعة ، ثم لم تلبث فيما اتجهت اليه من ذلك ان اتصلت بالحركة الاستشراقية ، وتأثرت بطبيعة الحال بها ، هى بلاد الهند .

وكان أول ذلك هو انشاء المطبعة العربية فى كبرى المدن الهندية : دهلى وكلكوتا وبمباى وعن هذه المدن التى لم تلبث أن أصبحت من مراكز الثقافة العربية ، صدرت مجموعة ضخمة من كتب التراث العربى الاسلامى ، لعل باكورتها كان (تفسير الجلالين) الذى صدر عن دهلي فى اواخر القرن الثامن عشر ، سنة ١٧٩٦ .

ثم كان مما اتيح لها أن نشأت بينها وبين حركة تحقيق التراث العربي فى أوروبا بعض الصلات ، في ابان النفوذ الذى كانت تمارسه فى الهند (شركة الهند الشرقية) ، وكان بعض صور نشاط هذه الشركة يدعوها الى استخدام بعض المستشرقين ، وكان من ذلك أن بعثت الى الهند فى أواخر القرن الثامن عشر المستشرق الانجليزى ماثيو لمسدن ، وكان مما عهد اليه أن يتولاه فيها تنظيم مطبعة كلكوتا . ومنذ ذلك الحين جعل يمارس نشاطه فى تحقيق التراث العربى ، فصدر عن هذه المطبعة القاموس المحيط للفيروزبادى ، ومقامات الحريرى ، وغيرهما . ويخلف لمسدن فى ادارة مطبعة كلكوتا مستشرق ايرلندى ، كان جاء الى الهند جنديا فى الجيش البريطانى ، وأهلته ثقافته الرفيعة واتجاهه الى الاستشراق ان يتولى ذلك المنصب ، وهو وليم ناسوليس ، فمضى فى الطريق الذى سبقه اليه سلفه ، مشاركا بعض علماء الهند فى تحقيق ما كانوا متجهين الى تحقيقه ونشره من كتب التراث العربى الاسلامى ؛ كالمولوى عبد الحق غلام قادر ، والمولوى كبير الدين ، في مثل تفسير الكشاف للزمخشرى ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى، ونخبة الفكر فى مصطلح اهل الاثر لابن حجر .

ولم ينحصر نشاط المستشرقين فى الهند فى هذه الفترة فى أبناء الجزيرة البريطانية ، فقد رأينا شركة الهند الشرقية تبعث اليها فى النصف الاول من القرن التاسع عشر برجل نمسوى من أهل التيرول ، كان قد درس الاستشراق ثم استطاع أن يكون بعد ذلك طبيبا ، وبهذه

الصفة بعث اليها . ولكنه لم يكد يبلغها حتىانصرف الى دراساته الاستشراقية . وأقبل على التراث العربى الاسلامى مع بعض من عقدصلته بهم من علماء الهند ، مثل سديد الدين خان ، والمولوى بشير ، ومولى غلام قادر ،يحقق وينشر منه بعض الكتب التى كانت موضع اهتمام خاص فى الهند ، كالاتقان فى علوم القرآنللسيوطى ، والاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ،وفهرست كتب الشيعة لمحمد بن حسن الطوسى ، ذلك هو سبرنجر التيرولى .

واستمرت صلة المستشرقين بحركةتحقيق التراث العربى فى الهند ونشره ، مقيمين بها ، أو بعيدين عنها ، حتى لنجد مثلا ان كتابالمغازى لابى عبدالله الواقدى الذى حققه المستشرق النمسوى فون كريمر ، صدر عنكلكته فى الهند سنة ١٨٥٥ ، كما نجد مستشرقا آخر المانيا يتفق مع دائرة المعارف العثمانيةفى حيدر اباد على ان يتولى تحقيق بعض المخطوطات العربية والتعليق عليها ، فأتيح لهمن ذلك جملة غير صغيرة ، كالجمهرة لابن دريد، والدرر الكامنة لابن حجر . ومعانى الشعر لابنقتيبة ، وهو فريتس كرنكو .

وجملة القول فى هذه الحركة فى الهند انهاتيح لها من حماسة اهل البلاد وصدق عزيمتهم ، ومن اتصالهم بكثير من المستشرقين ،مقيمين بينهم ، أو ملمين بهم ، أو مراسلين لهم ، ما جعلها تمضى فى طريقها سديدة الخطى،شديدة النشاط . وقد جعلت الكتب العربية الاسلامية تصدر تباعا عن دائرة المعارفالعثمانية ، بحيدر أباد الدكن ، ومعهد الدراسات الاسلامية ، بجامعة عليكرة ، وما اليهما .ونشأتناشئة من علماء الهند تمرست بالتحقيق ، ومهرت فيه ، ونفذت فى دقائقه ، مع اخلاصللعلم شديد ، واصبحت بذلك موضع الثقة في البيئات العلمية ، يمكن أن نتمثلهم فى شيخهمعبد العزيز الميمنى الراجكوني ، محقق اللآلىء لابى عبيد البكرى وغيره ، ومحمد بدر الدينالعلوى ، محقق شرح المختار من شعر بشار، لابى الطاهر النجيبى ، وعبد الرحمن بن يحيىالمعلمى ، محقق كتاب الانساب للسمعانى ، والاكمال لابن ماكولا ، الى كثير غيرهم ليس بنافى هذا الفصل أن نستقصيهم .

وهكذا نرى ان أمر التراث العربى فىالهند لم يكد يبدأ باستخدام المطبعة حتى وجد من المستشرقين من حفوا به ، وشاركوا فىاخراجه . واحسب انهم طبقوا عليه ما عرف عندهم من اساليب التحقيق .

وثانى البلاد الاسلامية التى اتيح لهاالاستخدام المطبعة فى اخراج التراث العربى هى تركيا . وكانت تركيا – منذ آل اليها لقبالخلافة ، وسيطرت على اكثر الاقطار العربية – حريصة على أن يؤول اليها ما لهذه الاقطار منمظاهر حضارية ، وان تصبح فى المقدمة من مراكز الثقافة الاسلامية ، وهى الثقافة التىتتمثل اول ما تتمثل فى التراث العربى ، وبهذا الحرص وبالعاطفة الدينية المسيطرة على نفوسبنيها لم تلبث أن اصبحت من اهم مراكز هذا التراث ، انتقل اليها بعضه من هذه الاقطار التىسيطرت عليها ، وعنى سلاطينها وامراؤها وسراتها به ، يتكثرون منه ، ويتقربون الى اللهبالخزائن ينشئونها له .

واذا كان اول ما نعرف من استخدام المطبعة فى نشر كتب التراث العربى في الهند هو فى أواخر القرن الثامن عشر (سنة ١٧٩٦) ، فان أول ما نعرف من ذلك فى تركيا كان فى أوائل القرن التاسع عشر (سنة ١٨١٩) بطبع كتاب الكافية لابن الحاجب . ثم توالى بعد ذلك ظهور الكتب المطبوعة فيها ، وصدورها عنها . ويبدو انه اقتصر فى اخراجها على طبعها . واكبر الظن انها قد حظيت بغير قليل من الدقة فى مراجعة نصوصها وتصحيحها ، ولكن لم يؤخذ فى ذلك بشيء من أساليب التحقيق العلمى الحديث .

واخرى أن حركة اخراج كتب التراث العربى بطبعها في تركيا لم تكد تعنى منها الا بكتب المتأخرين التى كانت – فيما يبدو – الكتب التي يعتمد عليها طلاب الدراسات الاسلامية فى مراحلها الاخيرة ، ككتاب الكافية الذى اشرنا اليه ، وحاشية السيالكوتى على شرح السعد للعقائد النسفية ، وشرح المواقف لعضد الدين الايجي فى الكلام ، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى فى الاصول . أما كتب الادب فيبدو أنها لم تجد العناية بها هنالك الا فى وقت متأخر ، وخاصة بعد أن أنشأ أحمد فارس الشدياق جريدة الجوائب فى القسطنطينية ، فصدر عن مطبعتها كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدى ، سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠م) وديوان البحترى ، سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) وكتاب نثار الازهار لابن منظور ، سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) .

حتى اذا اتجهت جمعية المستشرقين الالمان اليها ، فاتخذت فى استانبول مركزا لها ، وقام على هذا المركز المستشرق ريتر ، فقد اتخذ تحقيق التراث العربى فيها صورته العلمية الحديثة المعهودة عند المستشرقين ، فيما صدر فيها عن ذلك المركز من كتب ذلك التراث ، ككتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للاشعرى ، وكتاب فرق الشيعة للنوبختي وكتاب الوافى بالوفيات للصفدى ، وكتاب أسرار البلاغة للجرجانى .

كما عنيت بعد ذلك جامعة استانبول وجامعة انقرة بتحقيق التراث العربى ، فصدرت عن المعهد الشرقي في جامعة استانبول بعض الكتب التى عنى بتحقيقها علميا بعض العلماء العرب كمحمد بن تاويت الطنجى ، ومن ذلك كتاب المكاثرة عند المذاكرة للطيالسى . ومن كلية الالهيات بجامعة أنقرة كتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل ، الى غير ذلك من الكتب التي توفر على تحقيقها محمد بن تاويت منذ اتخذ من تركيا موطنا علميا له ، وبعض علماء الترك الذين اتجهوا هذه الوجهة ، كابراهيم آكاه جوبوفجي وحسين آتاى .

● ● ●

واذ عرضنا للهند وتركيا من البلاد الاسلامية غير العربية ، وشأن التراث العربي فيهما ونصيبهما فى تحقيقه ، فعلينا أن نذكر ثالثة هذين البلدين ، وهي ايران .

وايران ، منذ القرن الرابع للهجرة ، كانت من أهم مواطن الكتاب العربى ، وذلك منذ تم لها أن تكون من أهم مراكز الثقافة العربية ، على الرغم من تيقظ مشاعر القومية الفارسية

بها ، فقد أصبح الامراء والسراة يتنافسون بها فيما بينهم على اسباغ الطابع الادبي العربي على مجالسهم ، وعلى ان تكون لهم خزائنهم التى تضم نفائس الكتب وذخائرها فى شتي صنوف المعرفة ، وأن يكون لهذه الخزائن أمناؤها ونساخوها ووراقوها ، كما كانوا يتنافسون فى ذلك بغداد مقر الخلافة العباسية ، وقد ازدهرت مدن فارس وخراسان واذربيجان وما اليها من الاقاليم الايرانية بالعلماء الذين كانت العربية لغتهم ــ سواء كانوا من أصل عربى أم من أصل فارسى ــ فيما يؤلفون من كتب ، وما يلقون فى حلقاتهم من دروس ، كما كانت لهم أيضا خزائن كتبهم ، يغالون بها ويحرصون عليها . والى جانب هؤلاء وأولئك من كان يرى فى انشاء المكتبات واعدادها لطلاب العلم وتحبيسها ورصد الاموال الموقوفة عليها قربة من أجل القربات .

ولعلنا نستطيع أن نتمثل صورة من المنزلة التى بلغتها العناية بانشاء خزائن الكتب العربية فى ايران فى القرن السابع للهجرة ، فيما ذكر من ذلك ياقوت الحموى ، في سياق الرسالة التى وجهها الى جمال الدين القفطى ، عقب عودته من رحلته الى بلاد المشرق : اذ يذكر فيما قص من شأن هذه المرحلة مقامة فى مرد الشاهجان ، وانه « وجد بها من كتب العلوم والآداب ، وصحائف أولى الافهام والالباب ، ما شغله عن الاهل والوطن ، والهاه عن كل خل صفى وسكن ، فظفر منها بضالته المنشودة ، وبغية نفسه المفقودة ، فاقبل عليها اقبال النهم الحريص ، وقابلها بما لا يزمع معها عنه محيص فجعل يرتع فى حدائقها ، ويستمتع بحسن خلقها وخلائقها ، ويسرح طرفه فى طرفها ، ويتلذذ بمبسوطها ونتفها ، واعتقد المقام بذلك الجناب ، الى أن يجاور التراب (٤) » .

وتكتمل هذه الصورة ، وتتضح ملامحها بما يذكره فى موضع آخر ، فى حديثه عن (مرو) وما يعتبره من خصائصها ، اذ يذكر من ذلك « كثرة الكتب الاصول المتقنة بها » ، ويعقب على ذلك بقوله : « فانى فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر فى الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتان فى الجامع ، احداهما يقال لها العزيزية ، وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجانى ، أو عتيق بن أبى بكر . وكان فقاعيا للسلطان سنجر ، وكان فى أول أمره يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ، ثم صار شرابيا له . وكان ذا مكانة منه . وكان فيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها . والاخرى يقال لها الكمالية ، لا ادرى الى من تنسب . وبها خزانة شرف الملك المستوفى ، ابى سعد محمد بن منصور ، فى مدرسته . ومات المستوفى هذا سنة ٤٩٤ . وكان حنفى المذهب . وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق ، فى مدرسته .

وخزانتان للسمعانيين . وخزانة اخرى فى المدرسة العميدية . وخزانة لمجد الملك ، احد الوزراء المتأخرين بها . والخزائن الخاتونية ، في مدرستها . والضيمرية فى خانكاه هناك .

---

(٤) الانباه على انباه النحاة ، للقفطى ، ٤ : ٨٦ ــ ٨٧ ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منهامائتا مجلد ، واكثره بغير رهن ، تكون قيمتها مائتي دينار . فكنت ارتع فيها ، واقتبس من فوائدها . وانساني حبها كل بلد ، والهاني عن الاهل والولد . واكثر فوائد هذا الكتاب وغيرهمما جمعته فهو من تلك الخزائن (٥) » .

وغاية ما يدل عليه انبهار ياقوت بهذهالصورة التى رآها فى مرو ، فى شرقى خراسان ، انها صورة رائعة قليلة النظير فيما اتيح له أنيشهد فيما مر به من بلاد المشرق ، لا انها انفردت بها . اما مادون ذلك فلابد انه كان لما قدمنا من اسباب وملابسات ـ امرا شائعا فى مختلف المدن الايرانية .

ومهما يكن من شأن ما حل بكثير من هذهالمدن من اغارة جحافل المغول عليها ، وطمسهم كثيرا من معالمها ، فلا ريب عندنا فى أنها استطاعت ـ على الرغم ـ من ذلك ـ الاحتفاظ بقدر غير قليل من التراث العربى ، مشتت بين ارجائهاالفسيحة المتباعدة ، كما احتفظت بالثقافة العربية ممثلة فى كثير من علمائها وادبائها ، وبعضالعلماء العراقيين الذين ابقى المغول عليهم ؛ فسيروهم اليها ، واقاموهم بها ، كالذى نعرفهمن شأن نصير الدين الطوسى الذى ما ان بلغ اذربيجان حتى انشأ فى مدينة (مراغة) الرصدالمنسوب اليه ، وانشأ الى جواره مدرسة وخزانة كتب تضم نحوا من اربعمائة الف مجلد . وكمانعرف ايضا من شأن صاحبه كما الدين بن الفوطى الذى كان قيم هذه الخزانة زهاء عشرةاعوام . ويقول السيد محمد رضا الشبيبى في كتابه عنه : « وكان مؤرخنا المذكور بحكمعمله فى المكتبة خبير الايجار بشؤونها ، طالما تحدث عنها فىمعجمه» (٦)، وعن جملةمحتوياتهاالنادرة والمصنفات القيمة والكتب المصورة التى أهديت اليها ، أو الى سلاطين المغول . وكثيرمن هذه النسخ المختارة بخطوط مؤلفيها ، أو بخطوط مشاهير النساخ والخطاطين والوارقينثم يقول : « ولا نشك كذلك أن هذه التحف نقلت ، فيما نقل من كتب هذه المكتبة الى« تبريز » (٧) . وقد كانت تبريز مركزا من اهم مراكز الثقافة العربية فى ايران ، قبل الزحفالمغولى وبعده . وفيها ـ كما يرى السيد الشبيبى ـ كتب ابن الفوطي كثيرا من كتبه .

وبعد أن استقر المغول فى المشرق وتحولكثير منهم الى الاسلام ، تحول كثير من علماء بغداد والعراق عامة الى ايران ، يمارسون فيهانشاطهم ، على الرغم مما منيت به . فكانلذلك اثره فى استعادتها شيئا من نضرتها . والا تكنالدراسات العربية عادت فيها سيرتها ، فان ارتباط العربية بالاسلام ابقى بصورة ما على هذه الدراسات ، كما اسبغ عليها من القداسة ما أعاد للتراث العربى قدره وخطره ،على الرغم من تضايق المكان الذى بقى للعربية هنالك .

---

(٥) معجم البلدان ٨ : ٣٥ ـ ٣٦ ، مطبعة السعادة ،القاهرة ، ١٩٠٦ .

(٦) يقصد كتاب (مجمع الآداب فى معجم الاسماءوالالقاب)

(٧) مؤرخ العراق ابن الفوطى (٢ : ٢١٤ من مطبوعاتالمجمع العلمى العراقى « سنة ١٩٥٠) .

وعن هذه الصلة الوثيقة التى لا انفصاملها بين الاسلام والعربية ، والقداسة التي اسبغت على العربية من هذه الصلة ، وعن كونالتراث العربى أصبح جزءا من تراث الامة الايرانية ، وعنصرا من اهم عناصر شخصيتها ،بقى لهذا التراث مكانه منها ، واستمر تعلقها به وحرصها عليه ومفالاتها به ، كما يمكن انتتمثل هذا فى الفصل الذى كتبه الدكتور حسين على محفوظ منذ عشرين عاما . وكان قد أتيحله ان يقيم فى ايران خمس سنين ، مكبا على الدراسة والبحث والتنقيب ، وقد قرر في هذاالفصل أنها لا تزال عامرة بكثير من خزائن الكتب الحافلة بالمخطوطاتالنادرة ، والنفائس المذخورة،والاسفار القيمة » ، و « أن فى مشهد وقم واصفهان وشيراز وطهرانوتبريز وزنجانوالاهواز خزائن لايسعها الاحصاء » وان نفائس بعض الخزائن التى ذكرها لا يحيط به الوهم . « عدا عن الخزائن الخصوصية التى لم يتح لى الاطلاع عليها ، وانما يحتاج كل منها الى فهرس مفردربما بلغت عدة اسامى نوادره فقط اضعاف اضعاف هذا البحث ، بالاوصاف والشروح(٨)» .

ومن هذا التاريخ الحافل والحاضر الزاخرللتراث العربى فى ايران ما يزال يراودنا ويلح علينا خاطر له من كل ذلك ما يبرره ، وهو انقدرا غير قليل من التراث العربى الذى لم يكشف عنه بعد ، والذى يغلبعلىظن الكثير من الدارسينأو يسبق الى وهمهم انه ضاع فيما ضاع منها ، لا يزال مستقرا فى خزائن الكتب فى ايران ، ينتظركشف النقاب عنها وفهرستها واتاحتها للباحثين والدارسين . ولعل هذا الخاطر الملح كان مما جعلنا نكتب ، فى سياق هذه الدراسة ، هذه الفقرة عن ايران ومكان هذا التراث منها ، وانكانت لم تسهم فى حركة تحقيقه بما يتناسب مع مكانته هذه فيها .

وكما اتخذت العناية بكتب التراث العربى،فى أوائل هذا العصر ، في كل من الهند وتركيا ، صورة اخراجها مطبوعة ، كذلك كان الامر فيايران . فمنذ أتيحت لها المطبعة بادرت باستخدامها فى اخراج بعض الكتب العربيةالتى يبدو لنا ان كثيرا منها يقع من الحياة الدينية والعقلية والدراسية فيها موقعا خاصا . كانتكون من الكتبالتىكتبها ائمة الشيعة وعلماؤهم، أو من الكتب الايرانية النسب ، أو الكتب التىيحتاج اليها ويعتمد عليها فى معالجة درس العربية . وقد جعلت هذه الكتب تصدر عنتبريز مرة ، وعن طهران مرة أخرى .

فكان من أول الكتب التى أخرجتها المطبعة الايرانية كتاب **(نهج البلاغة ومشرع الفصاحة)** الذى جمع مادته الشريف الرضى مما أثر منكلام امير المؤمنين على بن أبى طالب . وقد صدر عن تبريز ، فى منتصف القرن التاسع عشر(سنة ١٨٥١) ، كما صدر بعد ذلك بثلاثة اعوام ، عن طهران ، الشرح الذى كتبه عليه ابن أبى الحديد ، من علماء القرن السابع للهجرة ،

---

(٨) نفائس المخطوطات العربية فى ايران . مجلةمعهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ، الجزء الاول (مايو ١٩٥٧) .



ثم شرح كمال الدين بن ميثم البحرانى ، من أهل القرن الثامن ، ومن هذا القبيل امالى الشريف، المرتضى المعروفة باسم (غرر الفوائد ودرر القلائد، فى المحاضرات) ولا ريب أن ايران هى صاحبة الفضل الاول فى اخراج مثل هذه الكتب التى تعدمن عيــون الادب العربى . مطبوعة .

ومن كتب الادب التى بادرت ايران الــى اخراجها مطبوعة ديوان **سـقط الزند** لابى العلاء المعرى ، بشرح ابى يعقوب يوسف بن طـاهر الخويي ، المسمى بالتنوير . وربما كان مما أتاح لهذا الكتاب ان يصدر عن ايران ، في أوائـل العهد بالكتب المطبوعة فيها سـنة (١٨٥٩) ، نســبة الايرانى . فخوى التى ينسب اليها ابويعقوب ، صاحب هذا الشرح ، « بلد مشهور من أعمال اذربيجان » ، كما يقول ياقوت . وبذلك ســبقت هذه الطبعة طبع مطبعة بولاق له بعشر ســنين(٩) .

على أن هناك طائفة من الكتب التى بادرت ايران الى اخراجها مطبوعة ، دون ان يكون لهــا طابع ايــرانى خــاص ، وانما كانت تتطلبهــا الدراســات الاســلامية أو الادبية أو اللغوية ، مثل كتاب (النهاية فى غريب الحديث) ، لمجدالدين بن الاثير ، وقد طبع سنة ١٨٥٣ ، وديوان امرىء القيس بشرح أبى بكر عاصم بن أيـوب البطليوسى ، وقد طبع ســنة ١٨٦٠ ، قبــل ان يطبع للمرة الاولى فى مصر بخمس ســنوات وكتاب (مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب) ، لابن هشــام .

وطبيعى انه لم يراع فى اخراج هذه الكتب، فى مدى علمى ، اسلوب التحقيق العلمى الحديث، الى ان انشئت جامعة طهران ، وكان مما عنيت به اخراج بعض الكتب العربية التى يغلب على الظن انه اخذ فى تحقيقها بذلك الاسلوب .

● ● ●

فاذا انتقلنا من البلاد الاسلامية غير العربية الى البلاد الاسلامية العربية ، وجدنا فى مقدمتها ، من ناحية العناية باخراج التراث وتحقيقه فى هذا العصر ، مصر .

ومبدأ ذلك يرجع الى انشــاء المطبعة بها ، ومطبعة بولاق خاصة ، وقد انشئت سنة ١٨٢٢، وان كانت مقصورة في ســنيها الاولى على طبع ما كان محمد على ، رأس الاسرة الخديوية ، معنيا به من الكتب التعليمية المترجمة الى اللغة العربية ، والمحررات الديوانية ، الى جانب قليل من الكتب العربية التى كانت تســتخدم فى درس اللغــة العربيــة وبعض العلوم الاســلامية : فى المدارس التى انشأها ، وفى حلقات الازهر . ومن ذلك كان اكثرها من كتب المتأخرين أو المعاصرين، كشرح الاجرومية للشيخ حسن الكفراوى ، من أهل القرن الثامن عشر ، وقد طبع بها سنة ١٨٢٦ أو حاشــية الطهطاوى ، من اهل القرن الثـامن عشر والتاســع عشر ، على الدر المختار شرح

(٩) جاء اسم الخويى فى هذه الطبعة ، كما أوردتــه عنها فهرست دار الكتتب المصرية ، محرفا الى (النحوى) .

تنوير الابصار ، فى فقه أبى حنيفة ، وقد طبع سنة ١٨٣٨ ، أو كليات أبى البقاء ، أيوب بن موسى ، من أهل القرن السابع عشر ، أو شرح الملا على القارىء من اهل القرن السادس عشر والسابع عشر ، لكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى عياض .

على أنا نجد ، فى غمرة هذا الطابع الغالب على مطبوعات مطبعة بولاق فى سنيها الاولى ، كتابا ككتاب كليلة ودمنة ، وقد طبع بها سنة ١٨٣٣ ، وكتاب الف ليلة وليلة ، وقد طبع بها بعد ذلك بعامين . ووكل تصحيح نص كل منهما الى احد العلماء المصححين بها ، وهو الشيخ حسن الصفتى .

ثم لم تلبث كتب التراث العربى ، فى فنونه المختلفة ، ان جعلت تصدر تباعا عن مطبعة بولاق هذه والمطابع التى انشئت الى جانبها .

وليس من شأننا في هذا الفصل ان نستقصى هذه الكتب او نعرف بفنونها ، ولكن الامر الذى تجدر ملاحظته والتنويه به هو ان من بين هذه الكتب مطولات تقع فى آلاف الصفحات . ككتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، ويقع فى أربعة عشر مجلدا . وارشاد السارى فى شرح صحيح البخارى للقسطلانى ، ويقع فى عشرة مجلدات ، ومفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازى ، ويقع فى ثمانية مجلدات ، ونيل الاوطار للشوكانى فى ثمانية مجلدات أيضا ، والاغانى لابى الفرج الاصفهانى ، فى عشرين مجلدا ، ولسان العرب في عشرين مجلدا أيضا ، والمخصص لابن سيدة فى سبعة عشر مجلدا .

والامر الثانى هو ان هذه الكتب ، على الرغم من كثرتها وطولها ، لقيت من العناية بتصحيحها والدقة فى مراجعتها ، ما جعلها مثالا فى صحة النص والاطمئنان اليه . وربما اكتفى فى طبع بعضها باختيار ماروُى انه أصح النسخ ، وتقديمه للمطبعة ، والمقابلة فى التصحيح عليه . وقد كان المصححون ، ومصححو مطبعة بولاق خاصة ، من العلماء المختصين المتمرسين ، وأصحاب الضمير الدينى والعلمى الحى المتحرج ممن كانوا يقصدون بمثل هذا العمل وجه الله وحده . كما سنرى صورة من ذلك فيما بعد . ويمكن أن نخص بالذكر منهم هنا الشيخ « أبو الوفا نصر الهورينى » . وكان من جلة العلماء سعة علم ودقة فهم ، كما يمكن ان يشهد به ما كتبه على القاموس المحيط للفيروزبادى . وكان قد اتيح له أن يتصل بالحياة الاوروبية ، حين بعث الى فرنسا اماما لاحدى البعثات العلمية ، فتعلم الفرنسية ، واتصل بالعلماء الفرنسيين ، فلما عاد وكل اليه منصب رياسة التصحيح بمطبعة بولاق ، فاقبل على عمله بكفاية العالم وخبرة المجرب وضمير الرجل المتدين ، وكتب كتابا يتصل بعمله هذا سماه : (المطالع النصرية فى المطابع العصرية) .

ومن الكتب ما كان يخص بمزيد من العناية ، فيوكل امر تصحيحه الى بعض الاعلام المذكورين من رجال العلم ، كما كان شأن كتاب المخصص لابن سيده ، اذ أسند تصحيحه الى

شيخ علماء اللغة ومرجعهم في عصره : الشيخ محمد محمود ، ابن التلاميذ ، الشنقيطي ، كما نرى ذلك فى غير موضع من هوامشه ، وكما يذكره رئيس التصحيح للكتب العربية بدار الطباعة الاميرية ، اى مطبعة بولاق ، فى سياق حديثه عن قصة طبعه ، والاسلوب الذى اتبع فى تحقيق نصه ، وهو حديث ينبغي ان نقف عنده ، ونتأمل دلائله فيما نحن بصدده .

فبعد ان يذكر أن الذى قام بطبع هذا الكتاب وتعميم نفعه جمعية خيرية من فضلاء المصريين وسراتهم ، فى مقدمتهم ... الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، و ... حسن باشا عاصم رئيس الديوان الخديوى ، و ... عبد الخالق بك ثروت احد أعضاء لجنة المراقبة القضائية بالحقانية ، و ... محمد بك بالاسكندرية ، قال :

« وهو (١٠) – حفظه الله – كان ذا السبق والنهضة الاولى فى تحقيق هذا المشروع الجليل ، فانه بذل همته فى استكتاب هذا الكتاب من نسخة عتيقة مغربية ، رايتها بالكتبخانة الخديوية ، وقد ركض فيها البلى ولعب ، واكل منها الزمان وشرب ، حتى ابلى ثوبها القشيب ، واذوى غصنها الرطيب ، ولم تسعد الايام بثانية تعززها بعد البحث والتنقيب .

وبعد كتابة نسخة منها وكل تصحيحها ومقابلتها على اصلها الى حضرة الاستاذ العلامة ، مرجع طلاب اللغة والادب ، الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى وكان معه فى المقابلة صديقنا الفاضل الشيخ عبدالغني محمود ، فبذل في تصحيحها على الاصل من الاعتناء ما استوجب به وافر الجزاء ومزيد الثناء .

ثم قدمت للطبع ، فبذلنا في تصحيح المطبوع غاية المجهود ، وقمنا فيه ، ولله الحمد ، المقام المحمود . وكنا نرسل كل ملزمة ، بعد أن نفرغ من تصحيحها ، وقبل طبعها ، الى حضرة الشيخ المفتي حفظه الله . فقرأ من الكتاب عدة ملازم قراءة امعان واتقان ، زاد بها الكتاب حسنا وصحة ، ثم اسند معظم ملازم الكتاب الى نظر الاستاذ الشنقيطي ، فحظى الكتاب من نظره بابن بجدتها ، ومجلّى حلبتها ، وفارج كربتها . فقام الشيخ بما أسند اليه مضطلعا ، حتى انتهى الكتاب . وكم له فيه من اثر يشهد بفضله ورسوخ قدمه ، ومن آثار ماكتبه على حواشي الكتاب من التعليقات بقلمه ، فجاء الكتاب ، بتوفيق الله ، على ما يرام غاية فى الصحة ونهاية فى الاحكام . »

ومن هنا نستطيع أن نتمثل مبلغ ما كان يتخذ لاخراج كتاب مثل المخصص من احتفال به واعداد له . منذ تألفت له جمعية من العلماء والسراة ، الى الحرص البالغ على أن يتاح له من اسباب التحقيق اقصى ما يمكن . فقد كان من أول ما اتجه القوم اليه وحرصوا عليه ،

---

(١٠) اى محمد البخارى ، أحد الشخصيات التي لم تنل ما هى جديرة به من الدرس ، وصاحب قاموس البخاري، أوسع المعجمات الفرنسية العربية واشملها . توفى سنة ١٩١٤ .

وجدوا فى البحث عنه ، الحصول على نسخةاخرى تكون الى جانب النسخة الوحيدة التي أتيحت منه ، وان لم يظفروا بذلك . ثموكل امر تصحيح النسخة التى استخدمها محمد البخارى ومقابلتها على الاصل الىشيخ اللغويين فى عصره محمد محمود الشنقيطي ، واحد شيوخ الازهر الاعلام :الشيخ عبد الغني محمود ، فاذا مضى الكتاب بعد ذلك الى المطبعة والى مصححيها منالعلماءالمتمرسين ، فقد جعل اذن الطبع الى الاستاذ الامام ، يوقع به بعد قراءة التجارب قراءةامعان واتقان ، ثمالى الاستاذ الشنقيطى الذى صحب الكتاب فى أولى خطوات اعداده . وفىالحواشي المثبوتة فى صفحاته ما يدل على ماكان يتسم به من جد ، وما يشهد بيقظته ودقة نظرهوسعة معرفته وحفظه .

ومبدأ استقصاء نسخ الكتاب موضعالتحفيق وتحرى مصادره ، نراه قبل كتاب المخصص فيما اتخذ لتحقيق لسان العرب ،وذلك فيما حكاه (خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الزاهية الزاهرة ، ببولاق مصرالقاهرة ، الفقير الى الله تعالى محمدالحسيني) فى الفصل الذى كتبه عنه وذيله به ، وقص فيه ما كان من شأن ناظر هذه المطبعة ، المرحوم حسين باشا حسني ، ازاءه ، وما اتخذه لهمن أسباب التحقيق ، قبل الشروع فى طبعه واثناءه ، اذ يقول :

« ... وجمع لنا ، فى تصحيح هذا الكتاب ، الاصول المهمة التى وجه مؤلفه رحمه الله نظره اليها ، وعوّل فى تاليفه عليها ، وهى : المحكم لابي الحسن على بن سيده الاندلسي ، والتهذيب لأبى منصور محمد بن احمدطلحه الازهرى اللغوى ، والصحاح للامام ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى ، ونهايةالغريب فى الحديث للامام اللغوى المحدث أبي السعادات مبارك بن أبي الكرم محمد ، المعروفبابن الاثير الجزرى ، وغيرها ، كتكملة الصحاح للامام الحسن بن الحسن الصغاني ، الى غيرذلك مما وصلت يدنا اليه ، وعرجنا فى التصحيح عليه .

وأحضر لنا أيضا من نسخالكتاب النسخةالجارية فى وقف السلطان الاشرف برسباى شعبان ، التى قال السيد مرتضى شارحالقاموس انها نسخة المؤلف ، وعول عليها فى شرحة للقاموس ، مستمدا منها ، وكتبعلىكل جزء منها بخطه ما معناه : قد طالعه محمد مرتضى مستمدا منه فىشرح القاموس .وكذلكايضا ذكر صاحب كشف الظنون ما يفيد أنها نسخة المؤلف . لكنها قد عبثت بها ايدىالزمان ،فاضاعتومزقت منها بعض الجثمان . وقد شملتنا عناية الحضرة الفخيمة الخديويةالتوفيقية ، ادام الله ايامها ، ورفع على هام الكرام اعلامها ، فأحضرت لنا من الاستانةالعليةنسخة الوزير الخطير ،والصدر الاعظمالشهير ، والعالم العلامة النحرير ، راغب باشا صاحبالسفينة (١١) عليه سحائب الرحمة ، فاستعنا

(١١) هو محمد راغب باشا ، أحد ولاة الدولة العثمانيةفى القرن الثامن عشر ، فى مصر والشام ، وصاحب المكتبة المعروفة باسمه فى استانبول ، ومؤلف كتاب (سفينةالراغب ودفينة الطالب) المشار اليه . توفى سنة ١٧٦٣ .

بها وبنسخ أخرى غيرها ، وبأصول الكتاب أيضا،على ما فقد من نسخة الاشرف التى عليها المعتمد بيدنا . وقد تولى تصحيحه بحول الله وقوتهعصابة جهبذية وسادة المعية ... الخ .

فها نحن أولاء نرى هنا منهجا علميـــادقيقا ، شديد الحرص على توفير الادوات التى تمكن للنص أن يكون صورة دقيقة له ، كمـاداه صاحبه ، من تقصى النسخ المخطوطة ، وتعيين ما يظن انه النسخـة الأم ، ومصادرالكتاب التى ينص مؤلفه انه صدر عنها ، الى جانب العناية البالغة بالمقابلة والمقارنة والمراجعةوالتصحيح ، على النحـو الذى يؤدى الينـا صورة منه هوامش الكتاب ، وما تدل عليه من‌دقة ويقظة ، ومن أدب علمى ومنهجية فى التعليق تثير الاعجاب ، مع انكار للذات يبعث علـىالدهشة ، فليس فيها مع ما تتضمنه من ذلك ما يشير الى اسم صاحبها . وانما ينتهى كـلتعليق منها بهذه العبارة : « ا هـ . كتبـه مصححه » .

ولا تقف هـــذه التعليقات عند مقابلـةالنسخ ، او ايراد ما جاء في أصـول اللسـان ، وتحرير النص بها ، وقد يكون مبتورا فيستكمل ،او محرفا فيصحح ، مع مراجعة المخطوط علـى ما طبع ، بل تمضى بعد ذلك فى مراجعة مايقتضيهالتحقيق من كتب الادب والتاريخ واللغة والتفسير والبلدان والعروض ، ما دعت الحاجـة الـىمراجعتهـا ، كأساس البلاغـة للزمخشرى ، والقاموس للفيروزبادى ، وشرحــه المـرتضىالزبيدى ، وكتاب سيبويه ،ومعجم البلدانلياقوت الى غير ذلك .

بل ربما جاء النص فى غير موضع منالكتاب ،فلا يغفل المصحح عنذلك ولا يفوته التنبيه اليه ، وقد يجيء مختلفا ، فلا يفوته التنبيه على ما يرىانه الصحيح ، كما نرى ذلك فى غير موضـع . (من ذلك ما جاء فى حواشي الجزء التاسع ، فىمادة (نوط) ، ومـادة (وسط) ومـادة (غنظ) ، فى الصفحات ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨) .

وقد يتوقف المصحح احيانا عند نصلايتضحله وجهه . ولم يتح له ما يوجهه به ، أو مصححه عليه ، فيضع فى الهامش بازائه هـذه العبارة :« كذا بالاصل ، وحرره »

كما يقترح أحيانا تصحيح النص على اكثرمن وجه . (كما نرى ذلك في مادة « ارط »)ومن صورة الدقة التى اتسم بها عمل المصحـح فيهذا الكتاب ان يورد صاحبه حديثا ، فيظن انه صدر به عن النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ،اذ كان من مصادره التى نص هو عليها . فلايفوت المصحح ان يلتمسه فيه ، فاذا لم يجده نص علىذلك . (كما نرى ذلك) مثلا فى مادة « نجز ») .

واذاكانت أوضاعهذه التعليقات أوالحواشيتختلف فى صورتها عن المألوف المتعارف عليه ، اذ جاءت فى الهامش الجانبي ، وبدون ارقام فى الاعمالاغلب ، على ما كان متعارفا عليه فىكتبالحواشي والتقارير ، فان ذلك لا يغير من منهجيتها ، وليتالذين أعادوا طبع اللسان جعلوها بحيث تتفق مع ماتواضعنا عليه ،وليتهم أضافوا اليهاالتصحيحاتالتي دونهـا احمد تيمور واخرجهـا فى كتاب ،

والتصحيحات التي نشرها عبد السلام هارون ،ثم قدموا له بما يدل على الجهود المختلفة التى بذلت في اخراجه وتحقيق نصه .

ومهما يكن من أمر فان هذين الكتابين :لسان العرب والمخصص ، اللذين حققا وطبعا فيما بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٠٤ يمثلان مرحلة جديدة في تحقيق التراث فى مصر ، فى العصر الحديث ، اخذت بشروط التحقيق العلمى ومبادئه ، وبلغت من ذلك مبلغا جديرا بالتنويه ، وان أخلت ببعض الاوضاع الشكلية فى النشر العلمى .

وفى سياق هذا الحديث الذى نود أن نؤرخ به لتحقيق التراث وما هو بسبيله فى مصر ، ونرجو ان نتبين به شيئا من مراحله ووجوهه ، ينبغى الا نغفل الاشارة الى حدث من الاحداث صدر عن ذلك الاتجاه ، وهو تكوين **(جمعية المعارف)** التى أنشأها سنة ١٨٦٨ محمد عارف باشا ، وضمت عددا غير قليل من علماء مصر وسراتها ، وكان من اهدافها المشاركة فى أحياء التراث العربى ، فتولت « طبع طائفة من أمهات الكتب فى التاريخ والفقه والادب » كما يقول عبد الرحمن الرافعى في الفصل الذى كتبه عنها ، وأورد فيه اسماء بعض هذه الكتب كما ذكر فيما تحدث به عنها انه كان لها مطبعتها الخاصة بها ، الى جانب استخدامها مطبعة بولاق وبعض المطابع الاهلية ، كالمطبعة الوهبية . (١٢)

ولا نحسب ان ما طبعته هذه الجمعية كان يعنى بأكثر من تحرى صحة العبارة وتقويم النص ، فلم يكن المنهج العلمى الحديث فى التحقيق قد فرض نفسه بعد ، على الصورة التى رأيناها فى نشر لسان العرب والمخصص ، بعد ان حلت هذه الجمعية ببضعة عشر عاما .

• • •

وفي الوقت الذى كانت اجزاء لسان العرب تظهر فيه ، ويتلقفها القراء ، كانت هنالك ناشئة من الشبان ، اتصلوا بالثقافة الأوروبية واعجبوا بها ، بقدر حرصهم على شخصيتهم العربية بجميع عناصرها ومقوماتها . وكان من هؤلاء الشاب (أحمد زكي) ، الذى عرف فيما بعد **بلقب شيخ العروبة . وكان منذ نشاته الاولى مشغوفا بالادبين العربي والفرنسى ، مراوحا** نشاطه بينهما ، مما رشحه ليكون عضو الوفد المصرى فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى لندن سنة ١٨٩٢ ، وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، ثم ما بعد ذلك من مؤتمرات ، مما وثق صلته بائمة المستشرقين ، ودققه على منهجهم فى تحقيق التراث العربى ونشره ، كما أتاحت له مثل ذلك عضويته للمجمع العلمى المصرى .

وكان أمر ذلك التراث والتفكير فى وسائل احيائه ، وفي مظهر ذلك الاحياء ، مما سيطر عليه ، وجعل يداعب أحلامه ويغمر احاديثه ، كما نرى ذلك فيما قاله فى التصدير الذى قدم به كتاب

(١٢) عصر اسماعيل ٢ : ٢٥٦ ــ ٢٥٨ الطبعة الاولى ــ سنة ١٩٣٢ .

الادب الكبير لابن المقفع . وكان ــ بعد كتاب نكت الهميان فى نكت العميان ــ من بواكير عمله فى تحقيق التراث . وقد طبع بالاسكندرية سنة ١٩١٢ . وذلك اذ يقول فى سياق هذا التصدير :

« ما زلت منذ نيف وعشرين عاما وانا انادي ذوى الفضل فى بلادى ليتعاونوا على احياء الآداب العربية ، حتى آذن الله بنجاح المسعى وتحقيق المنى ، وفى هذه الايام العباسية السعيدة » .

واذن فقد بدأ احمد زكى باشا الدعوة الى (احياء الآداب العربية) قبل سنة ١٨٩٠ فى صدر حياته ، وفى ابان صدور لسان العرب ، وقبل بدء صدور المخصص . وهو يعنى ، في هده الفقرة ، بنجاح المسعى موافقة مجلس النظار على مشروعه الذى تقدم به . وقد صرح بهذا فى التمهيد الذى كتبه لكتابه عن الترقيم ، سنة ١٩١٢ ، اذ يقول :

« . . حتى اذا أشرقت علينا انوار هذا العصر العباسى المجيد ، اخذت في الانتعاش ، خصوصا عندما أقرت الحكومة الخديوية المصرية احياء الآداب العربية . وكان من كمال التوفيق ان أتاح الله للهيمنة على نظارة المعارف العمومية ، والاشراف على احياء الآداب العربية ، سعادة النابغة المفضال احمد حشمت باشا » .

ومنذ جعلت فكرة هذا المشروع تداعب خياله وتراود احلامه ، وهو دائم التفكير فيه والدعوة اليه والاعداد له ، فيما يكتب من ابحاث وما يلقى من أحاديث وما يشهد من مجالس ، وفيما يقوم به من رحلات كان يحرص أشد الحرص فيها على تحقيق ما كان همه الاول منها ، وهو ان يزور خزائن الكتب التى تحتفظ بالتراث العربى ، كمكتبة الاسكوريال فى اسبانيا ، ومكتبات الاستانة ، يراجع فهارسها ، وينقب فى ذخائر مخطوطاتها ، ويعكف عليها قارئا ومصورا ما يروقه منها .

وقد نوه ببعض ذلك فى حاشية التصدير الذى كتبه لكتاب التاج المنسوب للجاحظ ، اذ يقول :

« أرى من واجبى أن أذكر بالشكر المعاونة الثمينة التي بذلها لى صديقى المفضال ، نعمة الله افندى البغدادى ، المشتغل بالمحاماة فى القسطنطينية ، فقد جعل نفسه وقفا على خدمتى ومساعدتى أثناء اشتغالى فى عاصمة الخلافة الاسلامية بجمع المواد التى كانت أساسا لمشروع احياء الآداب العربية » .

حتى اذا وافقت الحكومة على هذا المشروع ، ورصدت له بعض ما يحتاجه من مال ، فقد تقدم بكتاب التاج هذا يستهل به عمله فيه ، وقدم له بمقدمة طويلة مفصلة يحتج فيها لما صح عنده أنه للجاحظ ، كما ذيله بطائفة من الفهارس ، واصطنع فى تحقيقه والتعليق عليه المنهج العلمى الحديث الذى يصطنعه علماء المستشرقين ، فى دقة واحكام واحاطة .

واتخذ هذا المشروع من دار الكتب المصرية مركزا له ، اطلق عليه اسم (القسم الادبى) ، وتضمن طائفة من الكتب ، منها ما عنى زكى باشا بتحقيقه بنفسه ، ككتاب الاصنام لابن الكلبى ، وتاريخ المقدمة التى كتبها للطبعة الاولى ٣٠ يناير سنة ١٩١٤ ، وكتاب انساب الخيل له أيضا . وهو ، وان لم يصدر عن دار الكتب الا فى سنة ١٩٤٦ ، الا انه كان قد طبع قبل أكثر من ثلاثين عاما

من هذا التاريخ، وارجىء اصداره حتى يتم اعدادما كان زكى باشا قد اخذ به نفسه ، ليجعله ملحقا له ، وهو معجم بأسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام . ولكن بعض العوائق حالت دونه ، وتوفى زكي باشا سنة ١٩٣٤ ، وكالجزء الاول من كتاب (مسالك الابصار فى ممالك الامصار) ، لابن فضل الله العمرى ، وقد طبع سنة ١٩٢٤ ، وبقى سائره لم ينشر شيء منه ــ فيما أعرف ــ حتى الآن .

وبانشاء (القسم الادبى) فى دار الكتب العصرية ، أو بانتقاله اليها من مطبعة بولاق ، وبهذه البدايات المبشرة ، تطلع الناس الى عهد جديد فى تحقيق التراث ونشره، شكلا وموضوعا. ومن ذلك ــ فيما نقدر ــ كان اتجاه السيد على راتب ، أحد سراة القاهرة ووجهائها ، الى دار الكتب العصرية ، سنة ١٩٢٥ ، مقترحا عليها اعادة طبع كتاب الاغانى لابى الفرج ، بعد مراجعته وتصحيحه وضبطه وتفسير مغلقه ، كاملا كما وصفه مصنفه من غير حذف ولا ابدال كما هو نص ما جاء فى كتابه الى مدير الدار ، متكفلا بنفقة الطبع .

وكان لتلك الاريحية أثرها في مبادرة القسم الادبى بدار الكتب الى الاستجابة لذلك الاقتراح واعداد العدة لتحقيقه باتخاذ الاسباب المختلفة، كما كان يراها ، لكى يظهر كتاب الاغانى بالصورة الجدير بها ، بريئا من عيوب طبعتيه السابقتين.

وقد تضمن التصدير الذى كتبه رئيس قسم التصحيح بدار الكتب للجزء الاول منه بيانا بما أعدته الدار من أدوات التحقيق ، وبما اتخذته فى المقابلة والتصحيح والمراجعة في هذا الجزء . فذكر نسخ الاغانى الموجودة فى الدار، مطبوعة ومخطوطة ، معرفا بكل منها ، معينا الرمز الذى اتخذ لها . وجملتها ثمانى نسخ ، ثلاث منها مطبوعة ، أولاها الطبعة الاوروبية التى طبعت سنة ١٨٤٠ فى جريبزفولد ، ثم طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هـ ، ثم طبعة الساسى ، كما عقب على ذلك ببيان الكتب التى أعدت ليستعان بها فى التصحيح ، وقد وكل أمره الى لجنة مؤلفة منه ومن الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ احمد عبد الرحيم ، يليها لجنتان للمراجعة : الاولى مؤلفة من السيد محمد الببلاوى ، وقد وصف فى هذا التصدير بأنه مراقب أحياء الاداب العربية بالدار ، وحافظ ابراهيم واحمد نسيم ، والاخرى للمراجعة الاخيرة مؤلفة من احمد تيمور باشا ، وجعفر والى باشا ، والشيخ محمد الخضرى ، والشيخ احمد أمين . وقد صدر هذا الجزء سنة ١٩٢٧ .

ومع هذا الحرص على ان نذكر طبعة الساسى ، وهى ليست غير طبعة تجارية ، بين مراجع التصحيح ، لم تعن الدار ولا القائمون على التصحيح فيها باستقصاء نسخ الاغانى الموجودة فى المكتبات الاخرى ، أو على الاقل ما هو مدون فى فهارسها ، واستنساخها وضمها الى النسخ المذكورة في ذلك التصدير ، وكان ذلك من اول ما يجب الاتجاه اليه . وقد وعد مدير الدار في كلمته التى صدر بها الجزء الثانى ببذل « الجهد فى استحضار نسخ مما قد يوجد من

هذا الكتاب فى المكتبات الاخرى » . وهى عبارةتدل على ان الدار لم تعن حتى ذلك الوقت بمعرفة ما هو موجود من نسخ الكتاب فى المكتبات الاخرى ، فهو لا يزال عندها أمرا محتملا .

وع هذا فقد ظل الاعتماد فى تحقيق الاغانى على نسخ الدار وحدها ، حتى الجزء الثالث عشر ، الذى صدر سنة ١٩٥٠ . وبعد ثمانى سنوات صدر الجزء الرابع عشر ، بتصدره بيان من الدار يقول انها حصلت اخيرا على أجزاء متفرقة من هذا الكتاب فى مكتبتى ميونخ وتوبيخن . كما أخذت الدار منذ ذلك الجزء بنظام جديد فى التحقيق ، فقد اعفت نفسها سنه، ورأت — كما هو نص بيانها — « ان نستعين بنخبة من جهابذة العلماء المتضلعين فى فنون العربية وآدابها وتاريخها ، لانجاز الكتب التى تقوم بتحقيقها واخراجها » . وبذلك وكلت تحقيق كل جزء من أجزاء الاغانى الى أحد الاساتذة ، يستقل به ويحمل تبعته . وبذلك أيضا اختفى اسم (القسم الادبى) من صدر الكتاب ، كأن لم يعد له وجود بعد في الدار .

ومنذ الجزء السابع عشر الذى صدر سنة ١٩٧٠ انتقلت الولاية على تحقيق الاغانى واخراجه الى الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

• • •

وبعد ان أخلى (القسم الادبى) مكانه في دار الكتب ، بعد أن أبلى بلاء مذكورا ، على الرغم من وجوه التقصير والمآخذ التي أخذت عليه ، فيما تولاه من تحقيق طائفة غير قليلة من كتب التراث ، وما شارك به فى مثل الكتب التي حققها الاستاذ عبد العزيز الميمنى ، فان هذا المكان لم يلبث أن شغله (مركز تحقيق التراث) الذى انشىء بالدار ، ليؤدى ما كان يؤديه القسم الادبى ، بصورة أشمل ، وأسلوب علمى أدق ، ومنهج واضح مطرد .

وكان من أول ما اختطه ان يكون — الى جانب مضيه فى الطريق الذى شقه القسم الادبى — مركزا للتحقيق عامة ، يمكن أن يلجأ اليه المحققون ، أفرادا وهيئات ، فيما هم بسبيله ، فيسدد خطاهم ، ويقدم اليهم كل ما يعينهم على بلوغ الغاية فيما يحققون .

كما كان من أول ما حرص هذا المركز عليه الا يقف نشاطه عند حدود الآثار الادبية وحدها ، كما كان شأن القسم الادبى ، بل يجعل هذا النشاط ممثلا لصور التراث العربى المختلفة ، أدبية وعلمية . وكأنما لاحظ أن تراثنا العلمى لم يظفر من التحقيق بما هو جدير به ، وبما يمكن أن يجلو صورة الفكر العربى جلاء كافيا ، فكان عليه أن يتلافى هذا التقصير . والى جانب ذلك كان يقدر انه بما يمكن ان يتاح له منه يستطيع ان يخدم الجهود المبذولة لتعريب لغة العلم ، ويؤازر مجمع اللغة العربية وغيره من المجامع والهيئات الاخرى فيما يحاوله من وضع مصطلحات عربية بازاء المصطلحات الاوروبية السائدة ، ويصل بذلك ما بين قديم التعبير العلمى وحديثه .

وبذلك اخذ نشاط هذا المركز ، كما خططهواخذ فى تطبيقه ، يتمثل فى مجموعة من الوحدات تعنى كل وحدة منها بجانب من جوانب التراثالعربى ، اسلامى ولغوى وأدبى وتاريخى وفلكى وموسيقى وجيولوجى ، الى غير ذلك كعلومالاوائل المنقولة الى اللغة العربية . ولكل وحدة من هذه الوحدات استاذها المتخصص فىموضوعها ، المتمرس بلغتها وأسلوبها ، ومعه معاونوه من الشبان الذين تخصصوا فى هذهالموضوعات في دراستهم الجامعية ، يعينونه ويتدربون بالعمل معه في تحقيق ما اخذ فىتحقيقه .

ومن اجل توفير ادوات التحقيق وتيسير استخدامها ، عنى المركز من أول يوم بتكوين مكتبتين خاصتين به،احداهما للفهارس والاخرىللمراجع .

اما المكتبة الاولى فقد اراد ان تضم جميعفهارس الكتب العربية فى مكتبات العالم المختلفة، عربية وأجنبية ، شرقية وغربية . مرتبة منسقة.وقد جمع فيها كل ما اتيح له منها ، واحسب أنه فى سبيل استكماله . وانه مازال ماضيافيما بداه من استخراج الفهارس التى نشرت فى بعض الدوريات العلمية ، كمجلة معهدالمخطوطات العربية، ومجلة المجمعالعلمىالعراقى، ليضمها اليها ، الى جانب ما شرع فيه ايضا ؛وارجو ان يكون ماضيا فى ادائه ، من تفريغ هذه الفهارس فى بطاقات ، وترتيبها من بعدوتصنيفها ، بحيث يستطيع المحقق ، سواء كان من محققى المركز أم من غيرهم ، ان يحيط علمابجميع نسخ الكتاب الذى يحققه ، حين يراجع هذه البطاقات .

وأما المكتبة الاخرى فقد أريد بها أن تضمجميع المراجع العامة والكتب الاصول التى يحتاج اليها فى التحقيق . وقد أعدت اعدادايتفق مع وجوه نشاط المركز،في وحداته المختلفة، ورتبت ترتيبا يتيح للباحث أو المحقق ان يرجعاليها ، ويظفر ببغيته منها ، فى اقرب وقت وبأيسر جهد .

ولعل ذلك ــ الى جانب كفاية الاساتذةالمحققين وإيمانهم بعملهم واقبالهم عليه ، واخلاص معاونيهم وتفانيهم ــ كان مما أتاح لهذا المركزان يصدر في هذه الفترة القصيرة من حياته ، منذ بدا العمل فيه سنة ١٩٦٩ ، مجموعة لا باس بها من كتب التراث تمثل وحداته المختلفة ، كما تمثل ، فى جملتها ، مبادىء التحقيق العلمى فىأمثل صوره .

• • •

وبعد ، فليس بنا فى هذا الفصل أن نتتبعتاريخ حركة تحقيق التراث ، نتقصاها ونمضى وراءها فى شتى مواطنها ، وانما نتناول من ذلكما يتصل بمنهج التحقيق ووجوهه المختلفة ، ولعل فيما قدمنا من ذلك ما فيه بلاغ .